

استدراكات أبي حيان على الزمخشري في التفسير من خلال تفسيريهما (دراسة وصفية مقارنة)

ويدراوغو حمادو¹

¹ جامعة الجزيرة، السودان.

HNSJ, 2022, 3(2); <https://doi.org/10.53796/hnsj3215>

تاريخ القبول: 2022/01/17م

تاريخ النشر: 2022/02/01م

المستخلص

يعد علم التفسير من أهم العلوم الإسلامية وأشرفها وذلك كونه يتعلق بشرح وتوضيح كتاب الله (القرآن الكريم) مع بيان أحكامه وشرائعه ومعجزاته وأسباب نزول آياته ، لذا فإن التفسير من أكثر العلوم الإسلامية التي حظيت بعدد كبير من المفسرين على اختلاف مناهجهم في التفسير، والإمامان الزمخشري وأبو حيان الأندلسي من العلماء المفسرين الذين فسروا القرآن باستنادهم إلى اللغة والفقه والعقيدة في بيان مدلولات الآيات مستشهدين بالأدلة النقلية في التفسير والآثار وتارة في الرأي والتأويل . هدفت الدراسة إلى معرفة استدراكات أبي حيان الأندلسي في كتابه (البحر المحيط) وعلى الزمخشري في كتابه (الكشاف) ومعرفة ما استدل عليه أبو حيان في الاستدراك على الزمخشري . اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي والاستنباطي . توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها: إن استدراكات الأندلسي على الزمخشري في الآيات التي فسرها الزمخشري تأويلاً سواء أكانت التأويلات في المسائل اللغوية الدلالية أم الاستنباطية التي تفسر بالرأي ومن تلك الاستدراكات ما استدركه على الزمخشري في تفسيره للآية في قوله : ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾⁽¹⁾. قال الزمخشري: خذلناهم ومنعناهم الألفاظ حتى قست قلوبهم، أو أملينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست⁽¹⁾. قال أبو حيان: وقال الزمخشري: خذلناهم ومنعناهم الألفاظ حتى قست قلوبهم، أو أملينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست انتهى. وهو على مذهبه الاعتزالي. وأما أهل السنة فيقولون: إن الله خلق القسوة في قلوبهم. توصي الدراسة مفسري القرآن الكريم بقراءة عدة تقاسير ومقارنتها لمعرفة مدى توافق المفسرين السابقين في تفسير الآيات. تقترح الدراسة استدراكات أبي حيان على الزمخشري في المسائل العقدية.

RESEARCH TITLE

ABU HAYYAN AL-ANDALUSI'S REFLECTIONS ON AL-ZAMAKHSHARI THROUGH THEIR TWO BOOKS (AL-BAHR AL-MOHEET AND AL-KASHSHAF): AN OBJECTIVE STUDY.

Hamado Ouedraogo¹

¹ University of Gezira, Sudan.

HNSJ, 2022, 3(2); <https://doi.org/10.53796/hnsj3215>

Published at 01/02/2022

Accepted at 17/01/2021

Abstract

The interpretation science is one of the most important and holly Islamic science, as it is related to the explanation and clarification of the Book of Allah (the Holy Qur'an) with an explanation of its rulings, laws, miracles, and the reasons for the revelation of its verses. Abu Hayyan Al-Andalusi is one of the scholars who interpreted the Qur'an by relying on language and jurisprudence in explaining the meanings of the verses, citing the textual evidence in the interpretation and sometimes in the opinion and interpretation. The study aimed at knowing Abu Hayyan al-Andalusi's corrections in his book (Al-Bahr al-Muheet) and Ali al-Zamakhshari in his book (Al-Kashshaf) and to know what Abu Hayyan inferred in his correction to al-Zamakhshari. The study followed the descriptive, inductive and deductive method. The study reached several results, the most important of which are: Al-Andalusi's corrections to al-Zamakhshari in the verses that al-Zamakhshari interpreted, whether the interpretations were in semantic linguistic issues or deductive ones that are explained by opinion among those his interpretation for Verse as Allah said: "And from those who call themselves Christians, We took their covenant, but they have abandoned a good part of the Message that was sent to them.." Surat Al-Maeda, Verse (14). Al-Zamakhshari said, "They called themselves that, claiming the support of Allah, and the evidence for that is what they said to Jesus, peace be upon him, (We are the helpers of Allah), then they differed after Jacobite and Malakiyya." Abu Hayyan turned to him when he said: They were called Christians because they were from a village in the Levant called Nazareth. As for his saying (Al-Zamakhshari) and they are the ones who said to Jesus: We are the helpers of Allah. The one who said that: They are the disciples, and the disciples did not differ, but those who came after them differed from those who claim their affiliation. Like that, he realized it in his saying: " And He sends down from the sky hail (like) mountains, (or there are in the heaven mountains of hail from where He sends down hail)... " Surat Al-Noor, Verse (43). Al-Zamakhshari said: the cloud descends from the sky and from it takes its water, not as the claim of those who claim that it takes it from the sea, the Andalusian corrected him by saying: The verse indicates that rain descends from the sky and not from the sea. Interpretation of some verses whose meaning and significance were clarified by al-Zamakhshari, that is, without making sure of the meaning of the word or phrase. The study recommends that the commentators of the Noble Qur'an to read several interpretations and compare them to find out the extent of the agreement of the previous commentators in the interpretation of the verses. The study suggests that Abu Hayyan's interpretations of Al-Zamakhshari in the doctrinal issues.

مقدمة

فإن علم التفسير أشرف العلوم وأعلاها، وأنفعها للطالب وأولاها، وهو أعلى العلوم قدراً، وأغلاها مهراً، وأسامها معنى، وأدقها فكراً.

وإن خير ما انصرفت إليه هم الباحثين العكوف على كتاب الله المبين، واستنباط غرره ودرره لأنه منبع العلوم. وقد كان القرآن وما زال غزاً طرياً، يمنح حكمه وأحكامه، فهو المعين الثر الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد، و معجزاته باقية على وجه كل زمان ومكان، أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء، وعن الإتيان بسورة مثله من الخطباء الفصحاء. فما أوجنا إلى فهم معانيه ومقاصده ومراميه.

وتعد دراسة المناهج من أهم الدراسات في علم التفسير خاصة إذا ما عقدت مقارنة بين منهجي مفسرين أو أكثر. أهمية الموضوع وأسباب اختيار: قد تكفي أهمية الموضوع وأسباب اختياره على الآتي :
 1. أن العلامة أبي حيان - رحمه الله - نقل من تفسير الزمخشري نقولات مهمة، أيده في كثير منها، و اعترض عليه في بعضها، مما يحتاج إلى تحرير، ووقوف على الصواب في ذلك قدر المستطاع.
 2. أن المستدرك عليه من أئمة هذا العلم ومن أوعيته الجامعة
 3. أن المستدرك وهو العلامة أبي حيان، يعد من العلماء الأجلاء المتأخرين.
 4. يبرز من خلال هذه الدراسة مدى الصلة القوية والارتباط الوثيق بين السابق في التفسير - ومنه الزمخشري - والمتأخر وهو أبو حيان.

مشكلة البحث : هل أبي حيان استدرك على الزمخشري في تفسيره؟

أهداف البحث:

1. جمع استدراكات أبي حيان على الزمخشري، ودراستها.
 2. الوقوف على منهج أبي حيان في الاستدراك والاستدلال.
- المنهج المتبع في البحث: المنهج المتبع في البحث هو (المنهج الاستقرائي التحليلي والوصفي)،
 أدوات البحث: اعتمد الباحث في هذا البحث على الأدوات الآتية:
- 1 - الكتب المتخصصة في الموضوع. 2 - المكتبة الشاملة. 3. سؤال أهل الخبرة والتخصص.

الهيكل البحث

يقوم هيكل هذا البحث على مقدمة ومبحثين، ويندرج تحت كل مبحث مطالب، وخاتمة وفهارس.

المبحث الأول: التعريف بالإمامين أبي حيان والزمخشري وفيه قسمان:

القسم الأول: التعريف بالإمام أبي حيان وفيه ثلاث مطالب

المطلب الأول: اسمه ونسبه، وكنيته ولقبه، ومولده ونشأته ورحلاته العلمية

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه وعقيدته ومذهبه و مؤلفاته ووفاته وثناء العلماء عليه

المطلب الثالث: كتاب (البحر المحيط)

القسم الثاني: التعريف بالإمام الزمخشري وفيه ثلاث مطالب

المطلب الأول: اسمه ونسبه ، وكنيته ولقبه ومولده ونشأته ورحلاته العلمية

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه وعقيدته ومذهبه و مؤلفاته وفاته وثناء العلماء عليه

المطلب الثالث: كتاب الكشاف

المبحث الثاني: استدراكات أبي حيان على الزمخشري في التفسير وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاستدراك لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: استدراكات في سورة البقرة آل عمران النساء والمائدة

المطلب الثالث: استدراكات في سورة الأنعام والأعراف والتوبة ويونس وهود.

المطلب الثالث: استدراكات في سورة الأنعام والأعراف والتوبة ويونس وهود.

استدراكات أبي حيان على الزمخشري في التفسير من خلال تفسيريهما وفيه مبحثان

المبحث الأول: التعريف بالإمامين أبي حيان والزمخشري وفيه قسمان

الأول: التعريف بالإمام أبي حيان وفيه ثلاث مطالب السقم

المطلب الأول: اسمه ونسبه، وكنيته ولقبه، ومولده ونشأته ورحلاته العلمية:

أولاً : اسمه: هو محمد يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الأندلسي الحياتي الأصل الغرناطي المولد والمنشا المصري الدار⁽¹⁾.

ثانياً: نسبه: ينسب الإمام أبو حيان - رحمه الله تعالى - إلى قبيلة (نفزة): وهي قبيلة من البربر. قال الحافظ شمس الدين الداودي في ترجمته له: هو أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي النفزي نسبة إلى نفزة قبيلة من البربر⁽²⁾.

ثالثاً: كنيته: أبو حيان الأندلسي⁽³⁾.

رابعاً: لقبه : اشتهر بألقاب كثيرة منها شيخ النحاة، سيويو الزمان ، أثير الدين⁽⁴⁾.

خامساً: مولده: ولد الإمام أبو حيان في قرية مطخشار سنة 654⁽⁵⁾.

¹ طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأندروي. الناشر : مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة. ط1، 1997

تحقيق : سليمان بن صالح الخزي، ص/ 278 - 279 . و الأعلام ، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى : 1396هـ) ، الناشر : دار العلم للملايين، ط15 - أيار / مايو 2002 م ، 152/7.

² طبقات المفسرين: للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، تحقيق علي محمد عمر، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة الإمام، بالرياض 238، ط2، 1429هـ - 2008م، مكتبة وهبة - القاهرة. 4/1

³ نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن المقري التلمساني، المحقق : إحسان عباس ، الناشر : دار صادر- بيروت - لبنان ص.ب 10، ط1، 1968م، طبعة جديدة 1997م، 2/ 537.

⁴ طبقات المفسرين لمحمد الداودي ص/ 278 - 279. و الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني، 6/ 58

سادسا: نشأته: ولد أبو حيان بغرناطة ونشأ بها إلى عام (654)⁽⁶⁾

سابعا: رحلاته العلمية: ونشأ بغرناطة وقرأ بها القراءات والنحو واللغة وجال في بلاد المغرب ثم قدم مصر، وبمالقة، وببجاية، وبتونس، وبالإسكندرية وغيرها من البلدان.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه وعقيدته ومذهبه ومؤلفاته ووفاته وثناء العلماء عليه:

أولا: شيوخه: بلغت عدة شيوخه أربعمائة منهم:⁽⁷⁾

1. أبوبكر بن عمر بن علي بن سالم، توفي عام: 695⁽⁸⁾.

2. أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن عياش ولد سنة 607هـ⁽⁹⁾.

3. أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم توفي سنة 708هـ⁽¹⁰⁾.

4. أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي، أخذ عنه الفقه⁽¹¹⁾.

ثانيا: تلاميذه: إذا اشتهر العالم بعلمه وفضله وخلقه، اجتمع الناس حوله ومن هؤلاء التلاميذ

1.. أحمد بن سعد بن محمد أبو العباس العسكري، ومات في سنة 750⁽¹²⁾.

2. أحمد بن محمد بن علي أبو العباس العنابي توفي سنة 776هـ⁽¹³⁾.

3.. أحمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم الشقوري، مات في سنة 756هـ⁽¹⁴⁾.

4. عبد الرحمن بن أحمد بن علي الواسطي الأصل، توفي سنة 781هـ⁽¹⁵⁾.

ثالثا: عقيدته: قال ابن حجر: كان سالما في العقيدة من البدع الفلسفية والاعتزال⁽¹⁶⁾.

ربعا: مذهبه: كان الإمام أبو حيان ظاهريا، وبعد ذلك انتهى إلى الشافعية⁽¹⁷⁾

خامسا مؤلفاته: وصلت مصنفاته إلى ما يزيد على الخمسين⁽¹⁸⁾. منها:

⁽⁵⁾ طبقات المفسرين: لمحمد الداودي

⁽⁶⁾ الإحاطة في أخبار غرناطة، لأبي عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني (لسان الدين ابن الخطيب)، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - 2003 هـ - 1424 هـ، ط1، تحقيق: د. يوسف علي طويل، 142/1،

⁽⁷⁾ الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني 6/ 64

⁽⁸⁾ بغية الوعاة للسيوطي، 1/ 470.

⁽⁹⁾ انظر: المرجع السابق، ص/ 37.

⁽¹⁰⁾ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، 1/ 30.

⁽¹¹⁾ البحر المحيط لأبي حيان 4/ 312،

⁽¹²⁾ شذرات الذهب لعبد الحي العكري، 8/ 343.

⁽¹³⁾ غاية النهاية لابن الجزري، ص/ 54.

⁽¹⁴⁾ الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني، 1/ 239.

⁽¹⁵⁾ الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني، 3/ 111.

⁽¹⁶⁾ الدرر الكامنة 6/ 62.

⁽¹⁷⁾ فهرس الفهارس لمحمد الإدريسي، 2/ 208.

1. القراءات: " عقد اللآلي " في القراءات السبع العوالي⁽¹⁹⁾.
2. التفسير: " البحر المحيط " في تفسير القرآن العظيم.
3. الفقه: " الوهاج في اختصار المنهاج " ⁽²⁰⁾.
4. اللغة: " إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب " ⁽²¹⁾.
5. النحو: " الشذى في مسألة كذا " ⁽²²⁾.
6. الصرف: " المبدع في التصريف " ⁽²³⁾.
7. الشعر: " نوافث السحر في دماث الشعر " ⁽²⁴⁾.

سادسا: وفاته وقال الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلان، ومات بمنزلة خارج باب البحر في 28 صفر سنة 745هـ ⁽²⁵⁾

سابعا: ثناء العلماء عليه: منها:

1. وقال الإمام الذهبي في الثناء عليه: (ومع براعته الكاملة في العربية له يد طولي في الفقه والآثار والقراءات واللغات وله مصنفات في القراءات والنحو وهو مفخر أهل مصر في وقتنا في العلم تخرج به عدة أئمة) ⁽²⁶⁾.
2. وقال أحمد بن محمد الأندروسي . رحمه الله تعالى . في الثناء عليه: (أبو حيان شيخ النحاة العلم الفرد والبحر الذي لم يعرف الجزر بل المد سيبويه الزمان والمبرد إذا حيي الوطيس بتشاجر الأقران) ⁽²⁷⁾.

المطلب الثالث: كتاب (البحر المحيط).

أولاً: التعريف بكتاب البحر المحيط

لقد اختار عالمنا الجليل اسما لتفسيره هو: البحر المحيط، فكان لفظا ومعنى ومضمونا، فالبحر معروف، وهو أيضا الرجل الكريم الجواد، والجواد الواسع الجري، وبحر الأرض أي شقها فكأنما غاص إلى أعماق المعاني في تفسيره، وأما المحيط فهو البحر الممدق، فقد أحاط بالعلوم التي تمكنه من الغوص في بحار حكم كلام الله القرآن الكريم ⁽²⁸⁾.

¹⁸ البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكان 281/2، والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني، 6/ 64.

¹⁹ البدر الطالع لمحمد بن علي الشوكاني، 288/2، وفوات الوفيات لمحمد بن شاکر، 79/2.

²⁰ فوات الوفيات لمحمد بن شاکر، 79/4.

²¹ البدر الطالع لمحمد بن علي الشوكاني، 279/2.

²² المرجع نفسه، 79/4.

²³ البدر الطالع لمحمد بن علي الشوكاني، 282/2.

²⁴ المرجع نفسه، 282/2.

²⁵ الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني 65/6.

²⁶ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، ص/402.

²⁷ طبقات المفسرين لمحمد الداودي ، ص/ 278.

²⁸ البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أنير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق:

ثانياً: منهج أبي حيان في تفسيره (البحر المحيط) وقيمه العلمية: وقد حدد لنا منهجه في تفسيره (البحر المحيط)، فقال:

1 - أني أبتدئ أولاً بالكلام عن مفردات الآية التي أفسر لفظاً لفظاً فيما يحتاج فيه إلى اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب.

2- ثم أشرح في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب..

3- ثم إنني أذكر القراءات الواردة في اللفظ القرآني حاشداً فيها القراءات شاذها.

4- أشرح بيان ما فيها من غوامض الاعراب، ودقائق الآداب من بديع وبيان.

5- وأنقل أقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية بما فيه تعلقه باللفظ القرآني.

6 . ثم أختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرتها إفراداً وتركيباً بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصاً⁽²⁹⁾.

القسم الثاني: التعريف بالإمام الزمخشري وفيه ثلاث مطالب

المطلب الأول: اسمه ونسبه، وكنيته ولقبه ومولده ونشأته ورحلاته العلمية:

أولاً: اسمه ونسبه: أما اسمه ونسبه فهو: محمود بن عمر بن محمد بن عمر النحوي اللغوي ، الأديب ، المعتزلي الخوارزمي الزمخشري⁽³⁰⁾.

ثانياً: كنيته ولقبه: كُني بأبي القاسم⁽³¹⁾، وكان له ألقاب عدة و التي لقب واشتهر بها (جار الله)⁽³²⁾.

ثالثاً: مولده: ولد في شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر⁽³³⁾.

رابعاً: نشأته: نشأ في أسرة ذات علم ودين، في مدينة زمخشر⁽³⁴⁾.

خامساً: رحلاته العلمية: قدم بغداد، ولقى الكبار وأخذ عنهم⁽³⁵⁾، و دخل خراسان مراراً عديدة، قال السمعاني:

صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ، 5/1.

⁽²⁹⁾ البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ، 5/1 - 6.

⁽³⁰⁾ زمخشر: بفتح أوله وثانيه ثم خاء معجمة ساكنة وشين معجمة وراء مهمله قرية جامعة من نواحي خوارزم إليها ينسب أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. انظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي ، 147/3.

⁽³¹⁾ وفيات الأعيان لابن خلكان 4/254.

⁽³²⁾ مكة: سبقت ترجمتها في صفحة 7.

⁽³³⁾ طبقات المفسرين لمحمد الداودي، ص/172. و الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد ص/167. و التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي { رحمه الله } 1/412، و تاريخ ابن الوردي، لعمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (المتوفى: 749هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، ط1، 1417هـ - 1996م 44/2.

⁽³⁴⁾ وفيات الأعيان لابن خلكان، 4/255، و يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت429هـ) القاهرة، ط3، 1956م. 33/4..

⁽³⁵⁾ التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، 1/412.

كان ممن برع في الأدب والنحو واللغة لقي الكبار وصنف التصانيف ودخل خراسان عدة⁽³⁶⁾، ارتحل إلى مكة ، وأقام بها مجاوراً للبيت ، وفيها ألف كتابه هذا⁽³⁷⁾ ولكن بعد أن أقام بمكة نحو سنتين شاقه وطنه، فرحل إليه⁽³⁸⁾ **المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه وعقيدته ومذهبه ومؤلفاته وفاته وثناء العلماء عليه:**

أولاً: شيوخه: تتلمذ الزمخشري على عدد من العلماء وكان من أشهرهم:

1. محمود بن جرير الضبي الأصبهاني النحوي⁽³⁹⁾.

2. أبوبكر عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابري، مات سنة 518 هـ⁽⁴⁰⁾.

3. أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي توفي سنة 542 هـ⁽⁴¹⁾.

4. أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الدامغاني توفي سنة 498 هـ⁽⁴²⁾.

ثانياً: تلاميذه: تتلمذ على يد الزمخشري عدد من الطلاب والأصحاب ومن هؤلاء الطلاب:

1. الموفق بن أحمد بن أبي سعيد إسحاق المكي الخوارزمي، مات سنة 568 هـ⁽⁴³⁾.

2. محمد بن أبي القاسم بن بايجوك البقالي الخوارزمي، 560 هـ⁽⁴⁴⁾.

3. عالي بن إبراهيم بن إسماعيل الغزنوي أبو علي⁽⁴⁵⁾.

4. علي بن محمد بن علي بن أحمد بن مروان العمراني⁽⁴⁶⁾.

ثالثاً: عقيدته: كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد، متظاهراً باعتزاله⁽⁴⁷⁾.⁽⁴⁸⁾

رابعاً: مذهبه: أما مذهبه فكان الزمخشري حنفي المذهب معتدل فيه لا يتعصب له⁽⁴⁹⁾. خامساً: مؤلفاته: برز الزمخشري في ميدان التصنيف والتأليف، حتى أربت مؤلفاته على الخمسين، من ذلك:

³⁶ التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي 1/ 412. وطبقات المفسرين لمحمد الداودي، ص/ 172.

³⁷ (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة. رحمه الله. الناشر: مكتبة السنة ص/ 167.

³⁹ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، 2/ 163 - 164،

⁴⁰ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، 1/ 489. وطبقات المفسرين لمحمد الداودي، ص/ 31.

⁴¹ نزهة الأبناء في طبقات الأدياء، ابو البركات الأنباري، ص/ 159. ومعجم الأدياء ليقوت الحموي، 19/ 282.

⁴² طبقات الشافعية الكبرى للسبكي. 4/ 237.

⁴³ (الأعلام للزركلي، 7/ 333 و بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، 2/ 188.

⁴⁴ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، 7/ 333.

⁴⁵ طبقات المفسرين لمحمد الداودي، ص/ 201.

⁴⁶ معجم الأدياء ليقوت الحموي، 2/ 155.

⁴⁷ وفيات الأعيان وأنباء أبناء لابن خلكان، 5/ 09.

⁴⁸ (الفتاوى الكبرى، لأحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني أبو العباس، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ط1، 1386، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، 5/ 84.

⁴⁹ (التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي، 1/ 304.

1. في الحديث النبوي: الفائق في غريب الحديث (50).
 2. في الأصول: المنهاج في أصول الدين، يقول الحوفي عنه غير معروف (51).
 3. في الفقه: رؤوس المسائل (52) 5. في اللغة: الأمكنة والجبال والمياه (53)
 5. في النحو: المفصل (54) 6. في الأدب: نوابق الكلم.
- سادسا: وفاته: قال أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: توفي ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، بجرجانية خوارزم، بعد رجوعه من مكة. رحمه الله تعالى. (55).

سابعا: ثناء العلماء عليه: قال السمعاني (56) كان يضرب به المثل في علم الادب والنحو، لقي الافاضل والكبار وصنف تصانيف وفي التفسير وشرح الاحاديث وفي اللغة (57). وقال أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان في الثناء عليه، الزمخشري الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان؛ كان إمام عصره من غير ما دفع، تشد إليه الرحال في فنونه. وصنف التصانيف البديعة (58).

المطلب الثالث: كتاب (الكشاف)

أولاً: التعريف بكتاب (الكشاف) إن تفسير الزمخشري المعروف ب (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) من التفاسير التي تبوّأت مكانة رفيعة عند أهل العلم، سوى ما أخذ عليه من انتصاره لمذهب المعتزلة، ومن إيراده بعد الانتهاء من تفسير كل سورة حديثاً أو حديثين من فضلها وما لقارئها من الثواب، مع أن هذه الأحاديث أكثرها موضوع أو ضعيف (59).

ثالثاً: منهج الزمخشري في تفسيره وقبمته العلمية

ومع أنه لم يصرح في المقدمة بمنهج معين إلا أنه التزم بمنهج من أول الكتاب إلى آخره، فهو يذكر اسم السورة، ثم يبين هل هي مكية أم مدنية، ثم يذكر عدد آياتها، وأسمائها إن كان لها أسماء آخر، ثم يشرح في تفسير مقاطعها،

(50) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية، رمضان عبد التواب، د. يعقوب بكر، دار المعارف بمصر، سنة 1975م، 230/5-231.

(51) الزمخشري، الحوفي، ص 58، دار الفكر، ط 1، 1966 م.

(52) كشف الظنون لمصطفى بن عبد الله كاتب، 915/1.

(53) كشف الظنون لمصطفى بن عبد الله كاتب، 1398 /2.

(54) كشف الظنون لمصطفى بن عبد الله كاتب، 1744/2، وتاريخ الأدب العربي لرمضان عبد التواب 255/5.

(55) وفيات الأعيان لابن خلكان، 173 /5.

(56) السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد الإمام الحافظ أبو سعيد بن السمعاني التميمي، مولده بمرور. وكان إماماً فاضلاً محدثاً فقيهاً. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري، 378 /5.

(57) الأنساب للسمعاني، مصدر الكتاب: موقع يعسوب، 163 /3.

(58) وفيات الأعيان لابن خلكان، 168 /5.

(59) الصحيح والحسن من أحاديث فضائل السور في الكشاف وأنوار التنزيل والإرشاد، لعبد الستار فاضل، مجلة آداب الرفادين (277) العدد (22) سنة (1991م) نقلا عن التوجيه اللغوي والنحوي للقراءات في تفسير الزمخشري، لعبد الله سليمان محمد أديب، رسالة ماجستير جامعة

الموصل، العراق، (1423هـ - 2002م)، ص/7.

وغالباً كان يستعمل أسلوب المحاورة، فيقول مثلاً: "فإن قيل: ما معنى كذا؟ قلت: ... " كما أنه يختم السورة بذكر فضائلها من أحاديث أكثرها لا يصح كما سبقت الإشارة لهذا⁽⁶⁰⁾.

استدراكات أبي حيان على الزمخشري في التفسير وفيه

المطلب الأول: تعريف الاستدراك لغة واصطلاحاً

تعريف الاستدراك لغة

قال الخليل بن أحمد⁽⁶¹⁾: الدَّرْكُ: إِدْرَاكُ الْحَاجَةِ وَالطَّلْبَةُ تَقُولُ: بَكَرٌ فِيهِ دَرَكٌ

وَالدَّرَكُ: أَسْفَلَ قَعْرِ السَّيِّءِ. وَالدَّرَكُ: وَاحِدٌ مِنْ أَدْرَاكِ جَهَنَّمَ مِنَ السَّبْعِ. وَالدَّرَكُ: لُغَةٌ فِي الدَّرَكِ الَّذِي هُوَ مِنَ الْقَعْرِ. وَالدَّرَكُ: اللَّحِقُ مِنَ التَّبِعَةِ. وَالدَّرَاكُ: إِتْبَاعُ الشَّيْءِ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَطْعَنُهُ طَعْنًا دَارِكًا مَتَدَارِكًا أَي: تَبَاعًا وَاحِدًا إِثْرًا وَاحِدًا وَكَذَلِكَ فِي جَزِي الْفَرَسِ وَلِحَاقِهِ الْوَحْشِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (حَتَّى إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا) أَي: تَدَارَكُوا أَدْرَكَ آخِرُهُمْ أَوْلَاهُمْ فَاجْتَمَعُوا فِيهَا⁽⁶²⁾.

الدَّرَكُ، مُحَرَّكَةً: اللَّحَاقُ، وَقَدْ أَدْرَكَهُ: إِذَا لَحِقَهُ وَهُوَ اسْمٌ مِنَ الْإِدْرَاكِ، وَفِي الصِّحَاحِ الْإِدْرَاكُ: اللَّحُوقُ، يُقَالُ: مَشَيْتُ حَتَّى أَدْرَكْتُهُ، وَعِشْتُ حَتَّى أَدْرَكْتُ زَمَانَهُ. وَرَجُلٌ دَرَاكٌ⁽⁶³⁾. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ⁽⁶⁴⁾: وَاسْتَدْرَكَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ حَاوِلَ إِدْرَاكِهِ⁽⁶⁵⁾.

مما سبق من التعاريف يتبين أن الأصل في (درك) له معان، وهي:

1. اللحاق.

2. التتابع.

3. بلوغ الشيء.

4. الحاجة والطلب.

⁽⁶⁰⁾ منهج الزمخشري في تفسير القرآن، ص/12.

⁽⁶¹⁾ الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي؛ كان إماماً في علم النحو، وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً، ثم زاد فيه الألف بحراً آخر وسماه الخبب. وقيل إن الخليل دعا بمكة أن يرزق، علماً لم يسبقه أحد إليه ولا يؤخذ إلا عنه، فرجع من حجة ففتح عليه بعلم العروض، وللخليل من التصانيف كتاب " العين " وكتاب " العروض " وكتاب " الشواهد " وتوفي سنة سبعين، ومائة، رحمه الله تعالى. وفيات الأعيان لابن خلكان، 2/ 244. وإنباه الرواة لعلي القطفي، 1/ 341.

⁽⁶²⁾ كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي 327 / 5 - 328.

⁽⁶³⁾ تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبي الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، 27 / 137.

⁽⁶⁴⁾ الأصمعي: عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي المعروف بالأصمعي الباهلي. كان الأصمعي صاحب لغة ونحو، وإماماً في الأخبار والنوادر والملح والغرائب، وكان الرشيد يسميه "شيطان اللغة". وللأصمعي تصانيف كثيرة منها كتاب " خلق الإنسان " وكتاب " الأجناس " وكتاب " الأنواء " ومات سنة ست عشرة - وقيل خمس عشرة - ومائتين، عن ثمان وثمانين سنة وقيل عن إحدى وتسعين سنة. وفيات الأعيان لابن خلكان، 3 / 170. وبغية الوعاة للسيوطي، 2 / 39، وغاية النهاية لابن الجزري، ص / 209.

⁽⁶⁵⁾ لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، الناشر: دار صادر - بيروت، ط1، 10 / 419.

وعلى هذا فيمكن صياغة تعريف جامع للاستدراك من مجموع ما سبق فيقال:

الاستدراك هو إتباع القول الأول بقول ثان، يصلح خطأه، أو يكمل نقصه، أو يزيل عنه لبسا.

والذي يهمننا مما ذكرنا قول الخليل: إتباع الشيء بعضه على بعض في كل شيء يطعنه طعنا.

إلا أن المقصود في هذا البحث ليس الطعن الحسي، وإنما المقصود هو الطعن المعنوي في الأقوال، والآراء الاختبارات، وإن كان كلمة (طعن) ليست مما شاع بين العلماء وطلاب العلم، ولكن درجوا على القول بالتعقيبات أو الاستدراكات، أو المخالفة، أدبا منهم رحمهم الله تعالى.

ويكون قصد الباحث مما ذكره: جمع ما ذكره الإمام أبو حيان مخالفة (طعنا) لأراء الزمخشري رحمهم الله تعالى، والله تعالى أعلم.

استدراكات في سورة البقرة آل عمران النساء والمائدة

أولا: سورة البقرة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ﴾ (66) قال الزمخشري: والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون، يعني أنكم قوم آخرون غير أولئك المقربين تنزيلا، لتغير الصفة منزلة تغير الذات، كما تقول: رجعت بغير الوجه الذي خرجت به (67).

قال أبو حيان: قال الزمخشري: والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون، يعني أنكم قوم آخرون غير أولئك المقربين، تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات، كما تقول: رجعت بغير الوجه الذي خرجت به. وقوله: تقتلون بيان لقوله: ثم أنتم هؤلاء. انتهى كلامه. والظاهر أن المشار إليه بقوله: ثم أنتم هؤلاء، هم المخاطبون أولا، فليسوا قوما آخرين. ألا ترى أن هذا التقدير الذي قدره الزمخشري من تنزيل تغير الصفة منزلة تغير الذات لا يتأتى في نحو: ها أنا ذا قائما ولا في ها أنتم أولاء؟ بل المخاطب هو المشار إليه من غير تغير (68).

ثانيا: آل عمران: قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (69). قال الزمخشري: فإن قلت لم قيل (نزل الكتاب) (وأنزل التوراة والإنجيل). قلت لأن القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة (70).

قال أبو حيان: قال الزمخشري: فإن قلت لم قيل: نزل الكتاب، وأنزل التوراة والإنجيل؟

قلت: لأن القرآن نزل منجما، ونزل الكتابان جملة. انتهى. وقد تقدم الرد على هذا القول. وإن التعديدية بالتضعيف

لا تدل على التكثير، ولا التنجيم، وقد جاء في القرآن: نزل وأنزل، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾

⁶⁶ (سورة البقرة: آية ٨٥)

⁶⁷ (الكشاف للزمخشري، 1/106).

⁶⁸ (البحر المحيط لأبي حيان، 1/466 - 467).

⁶⁹ (سورة آل عمران: آية ٣)

⁷⁰ (الكشاف للزمخشري، 364).

(71) وأنزل عليك الكتاب ويدل على أنهما بمعنى واحد قراءة من قرأ ما كان: ممن ينزل، مشددا بالتخفيف، إلا ما استثنى، فلو كان أحدهما يدل على التنجيم، والآخر يدل على النزول دفعة واحدة، لتناقض الإخبار. وهو محال (72).

ثالثا: النساء: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُوْتٍ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (73)

قال الزمخشري: وفيه دليل على أنه لو نقص من الأجر أدنى شيء وأصغره أو زاد في العقاب لكان ظلما وأنه لا يفعله لاستحالاته في الحكمة لا لاستحالاته في القدرة (74).

قال أبو حيان: قال الزمخشري: وفيه دليل على أنه لو نقص من أجره أدنى شيء وأصغره، أو زاد في العقاب، لكان ظلما. وأنه لا يفعله لاستحالاته في الحكمة، لا لاستحالاته في القدرة انتهى.

وهي نزعة اعتزالية. وثبت في صحيح مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته ما عمل بها في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها» (75).

رابعا: سورة المائدة: قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِثْقَلَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (76) قال الزمخشري: خذلناهم ومنعناهم الألفاف حتى قست قلوبهم، أو أملينا لهم ولم نعالجهم بالعقوبة حتى قست (77).

قال أبو حيان: وقال الزمخشري: خذلناهم ومنعناهم الألفاف حتى قست قلوبهم، أو أملينا لهم ولم نعالجهم بالعقوبة حتى قست انتهى. وهو على مذهبه الاعتزالي. وأما أهل السنة فيقولون: إن الله خلق القسوة في قلوبهم (78).

المطلب الثالث: استدراكات في سورة الأنعام والأعراف والتوبة ويونس وهود.

أولا: الأنعام: قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (79)

قال الزمخشري: إيدان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة، وأنه من أجل النعم وأجزل القسم (80).

سورة النحل آية: ٤٤

(72) البحر المحيط لأبي حيان، 3/ 16.

(73) سورة النساء: آية ٤٠.

(74) الكشاف للزمخشري، 543/1.

(75) البحر المحيط لأبي حيان، 3/ 642 - 643.

(76) سورة المائدة آية: ١٣

(77) الكشاف للزمخشري، 650/1.

(78) البحر المحيط لأبي حيان، 4/ 205.

(79) سورة الأنعام: آية ٤٥

قال أبو حيان: قال الزمخشري: إيدان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم انتهى. والذي يظهر أنه تعالى لما أرسل الرسل إلى هؤلاء الأمم كذبوهم وأذوهم فابتلاهم الله تارة بالبلاء، وتارة بالرخاء فلم يؤمنوا فأهلكهم واستراح الرسل من شرهم وتكذيبهم وصار ذلك نعمة في حق الرسل إذ أنجز الله وعده على لسانهم بهلاك المكذبين فناسب هذا الفعل كله الختم بالحمدلة⁽⁸¹⁾.

ثانياً: الأعراف: قوله تعالى: ﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾⁽⁸²⁾

قال الزمخشري: وفيه دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور وأنه لم يزل مستهجنًا في الطباع مستقبها في العقول⁽⁸³⁾.

قال أبو حيان: قال الزمخشري: وفيه دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور وأنه لم يزل مستهجنًا في الطباع مستقبها في العقول انتهى، وهو على مذهبه الاعتزالي في أن العقل يقبح ويحسن، والظاهر أنه يراد مدلول سوءاتهما نفسهما وهما الفرج والدبر قيل: وكانا لا يريانها قبل أكل الشجرة فلما أكلا بدتا لهما، وقيل: لم يكن كل واحد يرى سوءة صاحبه، وقال قتادة كنى بسوءاتهما عن جميع بدنهما وذكر السوءة لأنها أقبح ما يظهر من بني آدم⁽⁸⁴⁾.

ثالثاً: التوبة: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾⁽⁸⁵⁾

قال الزمخشري: وفي سبيل الله فقراء الغزاة، والحجيج المنقطع بهم⁽⁸⁶⁾.

قال أبو حيان: وقال الزمخشري: وفي سبيل الله فقراء الغزاة، والحجيج المنقطع بهم انتهى. والذي يقتضيه تعداد هذه الأوصاف أنها لا تتداخل، واشتراط الفقر في بعضها يقضي بالتداخل. فإن كان الغازي أو الحاج شرط إعطائه الفقر، فلا حاجة لذكره لأنه مندرج في عموم الفقراء، بل كل من كان بوصف من هذه الأوصاف جاز الصرف إليه على أي حال كان من فقر أو غنى، لأنه قام به الوصف الذي اقتضى الصرف إليه. قال ابن عطية: ولا يعطى منها في بناء مسجد، ولا قنطرة، ولا شراء مصحف انتهى⁽⁸⁷⁾.

رابعاً: يونس: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكُتُبَ مِنْ

⁸⁰ (الكشاف للزمخشري، 24/2).

⁸¹ (البحر المحيط لأبي حيان، 515/4).

⁸² (سورة الأعراف: آية ٢٢)

⁸³ (الكشاف للزمخشري، 90/2 - 91).

⁸⁴ (البحر المحيط لأبي حيان، 25/5).

⁸⁵ (سورة التوبة: آية ٦٠)

⁸⁶ (الكشاف للزمخشري، 270/2).

⁸⁷ (البحر المحيط لأبي حيان، 445/5).

قَبَلِكُ ﴿٨٨﴾. قال الزمخشري: فما كنت في شك فاسأل ، يعني : لا تأمرك بالسؤال لأنك شاك ، ولكن لتزداد يقيناً ، كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعانيه إحياء الموتى (٨٩).

قال أبو حيان: قال الزمخشري: أي مما كنت في شك فاسأل، يعني: لا تأمرك بالسؤال لأنك شاك، ولكن لتزداد يقيناً كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعانيه إحياء الموتى انتهى. وإذا كانت إن شرطية فذكرها أنها تدخل على الممكن وجوده، أو المحقق وجوده، المهم زمان وقوعه، كقوله تعالى: (أفإن مت فهم الخالدون) والذي أقوله: أن إن الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء، ولا تستلزم تحتم وقوعه ولا إمكانه، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً كقوله تعالى: (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) ومستحيل أن يكون له ولد، فكذلك هذا مستحيل أن يكون في شك، وفي المستحيل عادة كقوله تعالى: (فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتهم بآية) أي فافعل. لكن وقوع إن للتعليق على المستحيل قليل، وهذه الآية من ذلك (٩٠).

خامساً: هود: قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٩١).

قال الزمخشري: فإن قلت: لم عدل عن ضيق إلى ضائق؟ قلت: ليدل علي أنه ضيق عارض غير ثابت (٩٢).

قال أبو حيان: وقال الزمخشري: (فإن قلت): لم عدل عن ضيق إلى ضائق؟ (قلت): ليدل علي أن ضيق عارض غير ثابت، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدرا. ومثله قولك: سيد وجواد، تريد السيادة والجدود الثابتين المستقرين، فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد انتهى. وليس هذا الحكم مختصاً بهذه الألفاظ، بل كل ما يبني من الثلاثي للثبوت والاستقرار على غير وزن فاعل رد إليه إذا أريد معنى الحدوث، فنقول: حاسن من حسن، وثاقل من ثقل، وفارح من فرح، وسامن من سمن، وقال بعض اللصوص يصف السجن ومن سجن فيه:

بمنزلة أما اللثيم فسامن بها ... وكرام الناس باد شحوبها

والظاهر عود الضمير في به على بعض. وقيل: على ما، وقيل: على التبليغ، وقيل: على التكذيب، قيل ولعل هنا للاستفهام بمعنى هل، والمعنى: هل أنت تارك ما فيه تسفيه أحلامهم وسب آلهتهم كما سألك؟ وقدرت كراهته أن يقولوا، ولئلا يقولوا، وبأن يقولوا، ثلاثة أقوال (٩٣).

المطلب الرابع: استدراكات في سورة ويوسف والرعد وإبراهيم والنحل والكهف.

أولاً: يوسف: قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

⁸⁸ (سورة يونس: آية ٩٤ - ٩٥)

⁸⁹ (الكشاف للزمخشري، 352/2)

⁹⁰ (البحر المحيط لأبي حيان، 106/6)

⁹¹ (سورة هود: آية ١٢)

⁹² (الكشاف للزمخشري، 363/2)

⁹³ (البحر المحيط لأبي حيان، 129/6)

﴿ ٩٤ ﴾ . قال الزمخشري: فإن قلت بم تعلق اليوم ؟ قلت : بالتثريب ، أو بالمقدر في (عَلَيكُمْ) من معنى الاستقرار . أو بيغفر . والمعنى : لا أثر بكم اليوم ، وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب ، فما ظنكم بغيره من الأيام ، ثم ابتداء فقال (يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم . يقال : غفر الله لك ، ويغفر الله لك ، على لفظ الماضي والمضارع جميعاً ، ومنه قول المشتمت (يهديكم الله ويصلح بالكم) و (الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) بشارة بعاجل غفران الله ، لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم(٩٥).

قال أبو حيان: وقال الزمخشري: (فإن قلت): بم تعلق اليوم؟

(قلت): بالتثريب، أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار، أو بيغفر. والمعنى:

لا أثربكم اليوم، وهذا اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام! ثم ابتداء فقال: يغفر الله لكم، فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم. يقال: غفر الله لك، ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعاً، ومنه قول المشتمت: يهديكم الله ويصلح بالكم. أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل الغفران، لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم انتهى. أما قوله: إن اليوم يتعلق بالتثريب، فهذا لا يجوز، لأن التثريب مصدر، وقد فصل بينه وبين معموله بقوله: وعليكم إما أن يكون خبراً، أو صفة لتثريب، ولا يجوز الفصل بينهما، لأن معمول المصدر من تامه. وأيضاً لو كان اليوم متعلقاً بتثريب لم يجز بناؤه، وكان يكون من قبيل المشبه بالمضارع، وهو الذي يسمى المطول، ويسمى الممتول، فكان يكون معرباً منوناً(٩٦).

ثانياً: الرعد: قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (٩٧). قال الزمخشري: وعهد الله: ما عقده على أنفسهم من الشهادة بربوبيته ﴿ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ (٩٨)، (وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه: من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد ، تعميم بعد تخصيص(٩٩).

قال أبو حيان: قال الزمخشري: وعهد الله ما عقده على أنفسهم من الشهادة بربوبيته، وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى. ولا ينقضون الميثاق، ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله تعالى، وغيره من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد تعميم بعد تخصيص انتهى. فأضاف العهد إلى المفعول، وغاير بين الجملتين بكون الثانية تعميماً بعد تخصيص انتهى. إذ أخذ الميثاق عام بينهم وبين الله وبين العباد. وقال

⁹⁴ (سورة يوسف: آية ٩٢)

⁹⁵ (الكشاف للزمخشري ، 473/2 - 474 .

⁹⁶ (البحر المحيط لأبي حيان ، 321/6 .

⁹⁷ (سورة الرعد: آية ٢٥)

⁹⁸ (سورة الأعراف آية: ١٧٢)

⁹⁹ (الكشاف للزمخشري ، 494/2 .

ابن عطية: بعهد الله اسم الجنس أي: بجميع عهود الله، وبين أوامره ونواهيه التي وصى بها عبده⁽¹⁰⁰⁾.

ثالثاً: إبراهيم: قوله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾⁽¹⁰¹⁾ قال الزمخشري: لأنه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور، فإذا خلص له الداعي إلى شيء وانتفى الصارف، تكون من غير توقف: كتحرريك أصبعك إذا دعاك إليه داع ولم يعترض دونه صارف⁽¹⁰²⁾.

قال أبو حيان: (إن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أيها الناس ويأت بناس آخرين) من جنسكم آدميين، ويحتمل من غير جنسكم. والأول قول جمهور المفسرين، وتقدم نحو هذين الاحتمالين للمفسرين في قوله في النساء: إن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أيها الناس ويأت بآخرين وبيننا في ذلك أنه لا يحتمل إلا الوجه الأول. وما ذلك أي: وما ذهابكم والإتيان بخلق جديد بممتنع ولا متعذر عليه تعالى، لأنه تعالى هو القادر على ما يشاء. وقال الزمخشري: لأنه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور، فإذا خلص له الداعي إلى شيء، وانتفى الصارف، تكون من غير توقف كتحرريك أصبعك. وإذا دعا إليه داع ولم يعترض من دونه صارف انتهى، وفيه دسياسة الاعتزال لقوله: القادر، لأنهم يثبتون القادرة وينفون القدرة، ولتشبيهه فعله تعالى بفعل العبد في قوله: كتحرريك أصبعك. وعندنا أن تحريك أصبعنا ليس إلا بقدرة الله تعالى، وأن ما نسب إلينا من القدرة ليس مؤثراً في إيجاد شيء⁽¹⁰³⁾.

رابعاً: النحل: قوله تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾⁽¹⁰⁴⁾ قال الزمخشري: (بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه، أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد⁽¹⁰⁵⁾.

قال أبو حيان: وقال الزمخشري: بالروح من أمره، بما تحيا به القلوب الميتة بالجهل، من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد انتهى. ومن للتبعيض، أو لبيان الجنس. ومن يشاء: هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأن مصدرية، وهي التي من شأنها أن تنصب المضارع، وصلت بالأمر كما وصلت في قولهم: كتبت إليه بأن قم، وهو بدل من الروح⁽¹⁰⁶⁾.

خامساً: الكهف: قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾⁽¹⁰⁷⁾. قال

¹⁰⁰ (البحر المحيط لأبي حيان، 379/6.

¹⁰¹ (سورة إبراهيم: آية ١٩.

¹⁰² (الكشف للزمخشري، 514/2.

¹⁰³ (البحر المحيط لأبي حيان، 424 / 6.

¹⁰⁴ (سورة النحل: آية ٢

¹⁰⁵ (الكشف للزمخشري، 554/2.

¹⁰⁶ (البحر المحيط لأبي حيان، 504 / 6.

¹⁰⁷ (سورة الكهف: آية ١١.

الزمخشري: فيحتمل أن يريد الكثرة وأن يريد القلة ؛ لأن الكثير قليل عنده ، كقوله : ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ ﴾ (108)(109)

قال أبو حيان: والظاهر في قوله عددا الدلالة على الكثرة لأنه لا يحتاج أن يعد إلا ما كثر لا ما قل. وقال الزمخشري: ويحتمل أن يريد القلة لأن الكثير قليل عنده كقوله ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ ﴾ (110) انتهى وهذا تحريف في التشبيه لأن لفظ الآية كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار، فهذا تشبيه لسرعة انقضاء ما عاشوا في الدنيا إذا رأوا العذاب كما قال الشاعر:

كأن الفتى لم يعر يوما إذا اكتسى ... ولم يك صعلوكا إذا ما تمولا(111).

الخاتمة

تشمل هذه الخاتمة أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج

- 1 - جنوح الزمخشري إلى التفسير العقلي كثيراً مما أخذ عليه.
- 2 - تبين للباحث سعي الزمخشري الحثيث من خلال كتابه الكشاف إلى نصرته مذهب الاعتزالي، والسير على منهج المعتزلة العقائدي.
- 3 - تولى أبو حيان الرد على اعتزاليات الزمخشري وأحياناً يغلظ عليه بالقول.
- 4 - تبين للباحث أن كلا الإمامين لم يكن متعصباً لمذهبه الفقهي.

ثانياً: التوصيات

يرى الباحث أن يوصي بالتوصيات التالية:

1. أوصي نفسي وإخواني بتقوى الله، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صل الله وسلم.
2. أخذ الدين من الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح، من الصحابة والتابعين و من بعدهم من الصالحين.
3. الاهتمام بكثرة الاطلاع في كتب التفاسير المعتمدة عليها.
4. الاشغال بالعلم الشرعي.

¹⁰⁸ (سورة الأحقاف آية: ٣٥)

¹⁰⁹ (الكشاف للزمخشري، 659/2.

¹¹⁰ (سورة الأحقاف آية: ٣٥)

¹¹¹ (البحر المحيط لأبي حيان، 145/7.

فهرس المصادر والمراجع

1 - القرآن الكريم

التفسير

2 - البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ.

3 - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ

4 - التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، ناشر: دار الأرقم بن الأرقم - بيروت لبنان.

السنة

5 - سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الناشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد

6 - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

7 - الصحيح والحسن من أحاديث فضائل السور في الكشاف وأنوار التنزيل و الإرشاد، لعبد الستار فاضل، مجلة آداب الرافدين (277) العدد (22) سنة (1991م) نقلا عن التوجيه اللغوي والنحوي للقراءات في تفسير الزمخشري، لعبد الله سليمان محمد أديب، رسالة ماجستير جامعة الموصل، العراق، (1423هـ - 2002م)

التراجم والطبقات

8 - غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، مصدر الكتاب: موقع الوراق

9 - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني

10 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (الكتاب مدقق مرة واحدة)، دار النشر: دار الكتب العلمية

11 - نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابي البركات الأنباري

12 - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر مجلس دائرة المعارف العثمانية.

13 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى: 0، 1900

13 - فوات الوفيات، المؤلف: محمد بن شاکر الکتبي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى: 1973م

14 - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.

15 - طبقات المفسرين: للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوردي، تحقيق علي محمد عمر، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة الإمام، بالرياض 238، ط2، 1429 هـ -

2008م، مكتبة وهبة - القاهرة.

اللغة

16 - لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، الناشر: دار صادر - بيروت، ط1

17 - نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن المقري التلمساني، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت - لبنان ص.ب 10، ط1، 1968م، طبعة جديدة 1997م.

18 - تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبي الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية،

التاريخ والأنساب

19 - معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، الناشر: دار الفكر - بيروت.

20 - الإحاطة في أخبار غرناطة، لأبي عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني (لسان الدين ابن الخطيب)، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - 2003 هـ - 1424 هـ، ط1، تحقيق: د. يوسف علي طويل

21 - تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية، رمضان عبد التواب، د. يعقوب بكر، دار المعارف بمصر، سنة 1975م.